الفصل الثانى عشر
الحياء والأخلاق عند اليابانيين

الحياء شعبة من شعب الإيمان – هكذا اخبرنا المصطفى صلى الله علية وسلم فلولا الحياء ما حرمنا حرام ولا حللنا حلال فإذا كان الحياء هو الإحساس بالرفض لكل ما هو مكروه، و القبول لكل ما هو مستحسن فلا شك أن الأمر قد يتعدى هذا المعنى ليشمل كل ما هو جميل ومستحب بفعل الاستحياء، ولولا فضل هذه الصفة ما استوجب المشرع وضعها في مصاف شعب الإيمان وجعل الإحساس بالحياء أهم من إسداء النصح للتنبيه إلى الخطأ والصواب حينما رأى النبي رجلا يعظ أخاه فقال له : دعه فالحياء من الإيمان

ومن هذه المقدمة اكتفى بهذا التعريف المبسط لأقدم شريعة الحياء عند اليابانيين من خلال منظومة القيم الجمالية و الأخلاقية التي يتصف بها هذا الشعب.

مفهوم الحياء عند اليابانيين

الحياء شريعة حياة ومنهج عمل

لاشك أن الأمة اليابانية تختلف عن سائر الأمم الأسيوية بهذا الخلق الرفيع الذي جعلها مضرب الأمثال في السمو و التسامي والاحترام و الطاعة وعدم الخروج عن المألوف، ولأن الحياء يعد أعلي فضيلة عند اليابانيين وعلية تدور سائر العلاقات الاجتماعية بل والسياسية و الاقتصادية فقد سادت المجتمع روح من السلام الاجتماعي و الاستسلام الإيماني لكل ما هو مقدر بفعل هذا الحياء، ولو أن المعترضين من ذوى الاتجاهات الغربية قد يئسوا من فهم هذا الرضوخ الغريب لهذا الشعب لأوامر قادته ،والطاعة السلبية لكل ما هو صواب أو خطأ دون أن يعملوا فكرهم لفهم فضيلة الحياء عند هذا الشعب. ولقد واكبت هذه الفضيلة كل مراحل الصعود والهبوط عبر تاريخهم المتصل والمملوء بالكفاح من اجل البقاء و التميز القومي مما جعلهم مضرب الأمثال في النجاح في أوقات السلم والحرب وقد لا يفهم الغربيون على وجه الخصوص قيمة الحياء عند اليابانيين ويبالغون في إلقاء اللوم على هذه الأمة لأنها تؤمن بالحياء أكثر من إيمانها بعدم الحياء.

إن الأمة اليابانية لا تجد في الجدل قيمة أو مضمون لأنها تستحي من خدش حياء الآخرين، و بالتالي خدش مشاعرهم وتعكير صفو

علاقتهم القومية، إن من لا يفهم حركة العلاقات الجماعية عند اليابانيين لا يمكن أن يفسر سر تقاعس اليابانيين عن مناقشة و مجادلة بعضهم البعض، أو سر رفضهم الدخول في جولات سفسطائية عن مفاهيم و قضايا شائكة حول الوجود و الكون والإلة، ولو أن هذه الأمة آمنت بالبحث عن تلك الحقائق أو استشعرت الخطر من عدم أو وجود معرفة ضرورية بها لما توانت عن البحث في تلك الموضوعات، بل الأجدر بالأهمية عندهم هو البقاء على الود و السلام الاجتماعي دون المخاطرة بقيمة هذه العلاقات تحت ضغط فضيلة الاستحياء أو الخجل.

إن الأمة اليابانية لهى جديرة بأن توصف بأنها قاومت كل أصناف المعارك لأنها وضعت تحت محتل قوى اغتصب ذاتهم من الداخل إلا وهو الحياء و الخوف من النقد أو الاستهجان من الآخرين، إنه الخجل أو الخوف الذي ينجم عن هذا الشعور القهري الذي يحكم وجدان كل ياباني قبل عقله حينما يفكر في فعل شي أو عدم فعله .ولو أنى وضعت إطاراً للقيم اليابانية التي تحرك عقيدة كل ياباني نحو العمل و الإنجاز لو وضعت قيمة الحياء على رأس تلك القيم الجمالية و الأخلاقية الحياء هو الخوف من نقد الآخرين

إذا كان الحياء هو الإحساس بالخوف من نقد الآخرين و بالتالي تجنب الدخول في مواجهة أخلاقية قد تؤدى إلى فقد مميزات بعينها أو

فوائد وقتية إذا لم نراعى هذا الإحساس فإن المتعارف علية عند اليابانيين بصفة عامة هو الانسجام و التآلف مع كل ما هو من شأنه أن يسبب نوعا من اللوم أو النقد لشخص أو مجموعة من الأشخاص، وبالتالي إبداء المرونة تجاه أي أوامر أو عقائد أو ضغوط دون مناقشة أو مقاومة . ويعد هذا اللون من التعامل أكثر واقعية وأخلاقياً و جمالياً للغالبية العظمى من اليابانيين ولو أنني لا أعني أن هذا الإحساس يلغى رغبة البعض في نقد الظلم أو رفض الإهانة في بعض القضايا . إن القاعدة لا يمكن أن تحرم أو تمنع وجود استثناء لذي القلة الواعية في بعض الظروف و الأحيان لكن الأكثرية تؤمن بما يقوله القيادات ولا يجدون فيه جرماً أو خروجاً عن القيم الأخلاقية، بل الطاعة و احترام الأوامر و العرف من أوجب القيم الجمالية و الأخلاقية وهى التي تبعث على الانسجام الجماعي والأخلاقي إن الأمة اليابانية تؤمن بالانسجام أكثر من الشقاق وتكره الخروج عن المألوف حتى لا تتعرض للعقاب الجماعي وبالتالي فان مناقشة القضايا تبدو أحيانا شأنا من شئون النخبة السياسية والاقتصادية والثقافية، وبالتالي فان على الرعية الإصغاء و الطاعة طالما إننا قد آمنا بقياداتنا و أسلمنا لهم القيادة وبالتالي فان الثمن الفادح هو الذي يتحمله الجماعة ولا تتحمله القيادة لان مفهوم الثواب والعقاب هو مفهوم جماعي وليس فردى و بالتالي تنعدم المسئولية

الفردية عند حدوث كارثة و يصبح على الجميع دينا يجب دفعه وواجباً يجب تحمله دون شكوى أو تبرم.

الحياء هو الشعور بعرفان الجميل تجاه الوطن.

لاشك أنه حينما يصطحب الحياء أي عقيدة أو فكر إنساني نحو فعل شي ضروري لحياة أي أمة فلابد وأن يسهم بقدر فعال لتحقيق أي هدف قومي أو أخلاقي.

إن الحياء هو القوة الدافعة للعمل والانجاز حينما يوظف التوظيف الأمثل فيتحول إلى طاقة جبارة تخلق الحياة من العدم والروح من الفناء، إن أروع مثال على ديناميكية هذه الفضيلة في قضايا اليابان القومية هو ما ساهمت به في تحويل اليابان من دولة زراعية فقيرة إلى قلعة صناعية لا مثيل لها في العالم

إن الدافع للعمل هو الإحساس بالواجب الناجم عن الخجل من نظرة الآخرين إن الإنسان الذي يعيش في إطار جماعة لابد وأن تحكم هذه الجماعة قيم نفعية أو مادية، إن اغلب اليابانيين الذين ضحوا بأرواحهم من اجل اليابان في ميادين القتال كانت تربطهم مشاعر الخجل من أن يقصروا في حق أمتهم وبالتالي إمبراطورهم المؤله وساستهم المحبوبين، إن الإحساس بالتقصير يوجب الخجل وتأنيب الذات الذي لا يمكن أن يتحرك إلا بالاستحياء من الآخرين الذين لابد وأنهم يتوقعون التضحية والعمل من اجل الآخرين، إن الحياء هو

سوط مسلط على كل عاطل لا يؤمن بروح الجماعة و مصلحة الأمة إن شعار "من اجل الإمبراطور" ظل يخدم حروب اليابان التوسعية فترة طويلة من الزمن طالت أجيال متعاقبة دون أن يفل ذلك من إرادتهم شيء إن الحياء حينما يتحول إلى إيمان بالواجب تجاه رموز الأمة، وبالتالي الإحساس بالمسئولية تجاه أي هدف قومي يجعل تحقيق المستحيل ممكنا .

إن البنية المنتخبة للأمة اليابانية لا تملك فكرا مختلفا عن قادتهم وبالتالي لا يمكن أن تنحى منحيا مختلفا بل كلهم على قلب رجل واحد، ومن غشنا فليس منا ولذا وجب الطاعة والامتثال للأوامر دون اعتراض حتى ولو كان الأمر مرفوض ضميريا إن الإحساس بالخوف من عدم الامتثال هو الذي يوصف بأنة عدم الحياء، وليس خوفا من الوقوع تحت حكم عصيان الأوامر كما هو الحال في الجيش. إن مقاومة التعليمات هو نوعا من عدم الحياء وبالتالي فان الإصغاء والامتثال هو دليل الحياء واحترام إرادة الجميع.

الحياء هو احترام قانون الجماعة

لا شك أن قانون الجماعة في اليابان هو أقرب للقانون الغير مسطر في الكتب، أنة قانون له لغة مختلفة عن لغة العقل والمنطق بل هو العقل والمنطق عندهم، إنه قانون ظل يعمل من مئات السنين حتى ترسخ في وجدانهم فبات نوعاً من العرف بحلوة و مره لا يختلف عليه اثنان

لأنه محفور في القلوب، ولأنه قانون تحكمه موازين القوة والضعف وموازين البقاء أو الطرد فإن عقوبة الطرد عند اليابانيين Nakama Hazure 仲間外れ هي من أشد أنواع العقوبة للفرد التمرد "فالمعترض منطرد" وبالتالي لا مكان له في شريعتهم، وعليه أن يختار بين البقاء منبوذاً أو الهجرة إلى مكان أخر.

إن التعامل مع الجماعة يحتاج إلى نوع من الذكاء الاجتماعي الذي يكون فيه البقاء للأقوى وبالتالي لا يمكن للفرد أن يكون قويا إلا بمساندة الآخرين تحت مسمى " المصلحة " أو مسمى " الحياء " ربما لا تكون هناك مصلحة مباشرة لكن الخوف من نقدهم وغدرهم يكفي لأن يحترس الفرد و يلين أمام طلباتهم و نفوذهم إنه قانون العاطفة الغشيمة أو المشاعر المتقلبة و بالتالي لابد من التعامل معه بلون من الدهاء والمكر و الاستسلام المصطنع.

إن عوامل التاريخ و الجغرافيا لا يمكن أن تنفصل من هذا القانون الذي تهيأ في ظل ظروف تاريخية و بيئة طبيعية قاسية تطورت فيها اليابان تطورا مادياً لم يلمس شغاف القلوب، حتى أضحت اليابان آلة حديثة و مشاعر قديمة أو كما وصفها احد أساتذة التاريخ الياباني الوسيط بأنها "تعمل بعقل حديث وقلب قديم"

العاطفة والواجب هما صفتان متأصلتان في الوجدان الياباني فالواجب و العاطفة متلازمان، الواجب تجاه المجتمع تحكمه معايير

وجدانية أكثر منها عقلية برجماتية، فالواجب هو قانون الأخلاق المستمد من الانتماء العاطفي للشعب الياباني والذي يحركه فضيلة الحياء تجاه الآخرين، أنة الفطرة السليمة التي تتحكم في سلوك الفرد تجاه الجماعة، وبالتالي يحتم مسؤلية الجماعة تجاه الفرد .وهناك تعبيرات شائعة في علم اللغة الاجتماعي الياباني مثل :

– الطرد من الجماعة :仲間はずれ Nakama.Hazure

– الواجب و العاطفة :義理と人情 Giri to Ninjon

إن اليابان قد أخذت حظها من التطور العلمي وشهدت نهضة مادية لا مثيل لها ولكن يبقى السؤال:لماذا لم تهتم اليابان باعتناق الفكر الغربي والعقيدة المسيحية ؟؟

إن الإجابة الوحيدة التي يمكن أن نثق بها هي " الإحساس بالحياء من نقد الآخرين، إن اليابانيين يكرهون أن يكونوا متهمين بالخيانة السياسية أو الأخلاقية أو الدينية إنهم يرفضون الخيانة لأن الخيانة ضد الحياء فهم يؤمنون بكل ما هو ياباني مهما كان ضارياً في الخرافة والسخف لأنهم لا يحبون أن يوصفوا بعدم الحياء، فالحياء خلق ياباني أصيل حتمته قوانين الجماعة التي كانت تحكم الأمة من وراء حجاب، فالأمة اليابانية لا تزال تكشف عن فضائلها التي تمسكت بها في الماضي وعلى مر العصور لأنها لا تريد أن تخسر روح البقاء على الود الذي هو ذخر الأمة وضميرها الحي.

روث بيندكت[٥١] **ثقافة الحياء**(恥の文化) Haji no bunka

لا شك أن من بين الدارسين و المتعاملين مع الثقافة اليابانية والذين تعمقوا في فهم الذات اليابانية من منظور ثقافي نجد العالمة الانثروبولوجية الأمريكية /روث بيندكت من خلال كتابها الشهير （菊と刀）kikuto katana "السيف وزهرة الأقحوان" وهو كتاب صنف ضمن الكتب الغربية الأكاديمية التي تناولت سلوك وطبائع اليابانيين الذين عاشوا في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية في جزر هاواي، وقامت بعمل دراسة تحليلية شاملة عن علاقة هذا الإحساس الياباني وسلوك اليابانيين تجاه الآخرين، ودوره في رفع كفاءة اليابانيين الأخلاقية و الروحية. إن روث بيندكت لم تغادر أمريكا كي تسطر هذا الكتاب بل قامت بدراساتها في أمريكا على جماعات من المهاجرين اليابانيين الذين استفادت من وجودهم آنذاك وقد ساهم هذا الكتاب في نشر الوعي لدى الجيش الأمريكي في تعامله مع هذه الثقافة الغريبة وقد اعتبرهذا الكتاب من الدراسات المتميزة عن الشعب الياباني وثقافته .[٥٢]

---

[٥١] روث بيندكت ولدت في عام ١٨٨٧ في نيويورك واهم مؤلفاتها :
– the chryrsanthemum and the sword patterns of Japanese Culture.1946.(kiku to katana)『菊と刀』長谷川松治訳) 現代教養, Scince:♀Race and Politics , (1940) 1967

[٥٢] دراسات فى الفكر والثقافة اليابانية"-د.علاء على، دار العلوم للنشر والتوزيع.٢٠٠٦.